حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

العـــدد الســادس عشـــر

١٤١٤هـ / ١٩٩٣م

الكتابة العلمية والمصطلح الفني

أ . د . إبراهيم السامرائي
أستاذ بقسم اللغة العربية، جامعة صنعاء

لابد لنا ونحن نواجه مشكلة الكتابة العلمية بالعربية، أن نرجع قليلاً إلى الوراء لنقف على بداية هذا الأمر. وليس بنا حاجة إلى ان نعرض للعرب في الجاهلية وما كان منهم في تجربة الكتابة بالعربية، ذلك ان ما نعرفه عن تلك الأحقاب قليل جدا. وأن ما ذكر من ان ورقة بن نوفل كان قد كتب العربية بالقلم العبراني، او بالحرف النبطي، لم يكن شيئا ذا قيمة تاريخية فيما يتصل بمسألة الكتابة العلمية التي نواجهها.

غير ان هذه المسألة كانت موضع بحث وتفكير لما قامت الدولة الإسلامية بعد ظهور الإسلام. وقد ارتبط هذا الامر، حين قام الإسلام وتغيرت بنية المجتمع العربي، بمسألة من يعرف الكتابة ولم يكن من يعرف الكتابة في فجر الإسلام سوى بضعة نفر من كبار الرجال فيهم علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وطلحة وعثمان وابوسفيان وبضعة آخرين.

وكان علي وعثمان وزيد بن ثابت وعبدالله بن الأرقم ممن كتبوا للنبي ﷺ. لقد كتب هؤلاء ما كان يأتي للنبي من الوحي، كما كتبوا له رسائله الى الملوك يدعوهم للإسلام. وقد كتب عثمان بن عفان لأبي بكر رسائله وكتبه الى عماله والى قواده إبان الفتح. كما قام زيد بن ثابت بالكتابة لعمر، ثم شغل هذه المهمة نفر آخر. ومن هنا صارت الكتابة مهمة من مهام الدولة الإسلامية ولاسيما بعد أن دُوِّنت الدواوين. وقد وجد عمر ان الحاجة تقضي أن يعين كاتب في كل ولاية يتولى الديوان فيها.

وقد كان الكاتب الديواني يتولى امر الجند وما يلزم من الاعطيات وغيرها،

كما يشرف على شؤون المال، ويتولى أمر المراسل.

وقد اقتضى الامر في عصر بني أمية ضربا من الاختصاص، فكانت الحاجة الى ان يكون لكل مرفق من المرافق كاتب خاص، فواحد يتولى المراسلة وخطاب الرؤساء والقواد والملوك، وآخر يتولى شؤون الجند وما يتصل بطبقات الأجناد وضبط أسمائهم وما يستحقون من أعطيات. وقد اقتضت موارد الدولة ان يكون كاتب للخراج يضبط شؤون الدخل والخرج، وان يكون للشرطة كاتب خاص كما اقتضت شؤون القضاء ان يتولاها كاتب خاص بين يدي القاضي.

وهكذا كانت دواوين عدة هي: ديوان الانشاء، وديوان الجند، وديوان الخراج، وديوان الشرطة، وديوان القضاء.

أقول: وانصراف صاحب الديوان، ولا سيما كاتبه الى مهمته الكتابية كان التجربة الاولى في معاناة ما استطيع ان ادعوه «الكتابة العلمية» ذلك ان كل مرفق من هذه المرافق المتخصصة محتاج الى نوع خاص من «الكتابة» ليس لي إلا ان ادعوه بخصوصيته العلمية.

أقول: من هنا كانت معاناة الكتابة، وهي ممتحنة بما يقتضي الامر في إثبات «المصطلح الفني التاريخي» في كل مرفق من هذه المرافق التي اقتضتها الحضارة.

وإذا عدنا الى الجانب العلمي، وهو غير ما عرضت له في شؤون الحياة الجديدة التي اقتضتها الحضارة، وجدنا «القرآن» وما اقتضى جمعه وتدوينه، حتى اذا انتهى هذا الغرض أقبل عليه الدارسون في آخر القرن الاول الهجري وطوال القرن الثاني، فكانت «علوم القرآن» وقد استمرت هذه الحركة الدائبة طوال القرن الثالث الهجري.

إن «علوم القرآن» كانت من أوائل التجارب العلمية في بدء حركة «الكتابة العلمية»، ذلك أنها كانت النواة الاولى التي امتحت فيها العربية في مضمار «الكتابة العلمية». لقد حفل هذا الجانب من العلم بطائفة من المصطلح العلمي الذي استفيد من القرآن نفسه، ومما اجتهد فيه أهل العلم. ان هذا يدخل في

الباب الواسع الذي أدعوه بألفاظ القرآن ويدخل فيه «المشكل» و «الغريب» ونحو هذا. وقد ألف في هذا العلماء فكانت كتب «المشكل» و «الغريب» وكل داخل في باب «الالفاظ الاسلامية»، ولعل كتاب «الزينة» لأبي حاتم الرازي هو النموذج الجميل في باب هذا النوع من «الكتابة»، فقد تصدى لاوائل اللفظ التي خرجت عن الاصوات اللغوية خروج «مصطلح» لا خروج «مجاز».

وكأن أبا عبيدة معمر بن المثنى قد أدخل جماع هذا الجديد في لغة التنزيل في باب «مجاز القرآن» الذي صنفه، غير محكوم بما دُعي بعد بزمان بـ «علوم البلاغة».

لقد كانت لغة التنزيل حافزا الى ان يباشر فيها نوع من الكتابة العلمية المتخصصة فكانت «معاني القرآن» وهي ضرب من التصنيف الفني، ثم كانت مسألة الاعجاز التي انتهت الى «البلاغة والبيان». وانت تقف من العربية في أصناف هذه المواد العلمية على لغة لبَّت حاجة العلم ووفرت «المصطلح»، ودخلت في ثنايا العلوم الدقيقة.

واذا تجاوزت هذا الى العلم اللغوي وما يخرج عنه من نحو وصرف واشتقاق، وجدت العربية لغة متسامية وفت بالكثير من متطلبات هذه العلوم. وحسبك أن تعرف انها حققت الكثير مما يصبو إليه اهل الاختصاص، ألا ترى مثلا ان المعجم الصوتي واحتواءه على أجزاء من هذا العلم في تصنيف الأصوات، وإدراك مخارجها وأحيائها، ومعرفة صفاتها، وادراك العلاقة بين الصوت والآخر، كل ذلك قد ألف معجما متخصصا في «علم الاصوات» وان صاحب الدرس الحديث في الأصوات (La Phonetique) يجد حاجته في المصطلحات القديمة التي نجدها في علم الخليل وسيبويه والمبرد وابن جني وغيرهم. ولعلك تعجب اذا علمت انك واجد في علم هؤلاء شيئا يدخل في باب «علم وظائف الاصوات» (La Phonelogie) ولنا ان نجيل الطرف في علم الحديث الشريف، أو قل «علوم الحديث» لنعلم لِمَ عد المسلمون «الحديث» وما يتصل به من علم

و «مصطلح» من اجلّ علوم الإسلام.

لقد حرص المسلمون على «الحديث» الشريف رواية ودراية وأحاطوه بعدة صالحة وافية من أسباب العلم نقدا وتمحيصا فخلص من بعد هذا ثمرات طيبة.

ان «الحديث» يرادف «السنة» التي تضاف الى الرسول الكريم من قول أو فعل، وقد أطلق «الاصوليون» السنة على كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح ان يكون دليلا لحكم شرعي.

ويؤدي «الحديث» شرح ما اجمل من قواعد كلية وردت في القرآن، وهذه القواعد الكلية تتصل بأمهات المسائل ثم تتفرغ عنها جزئياتها.

قلت: ان علم الحديث قسمان: علم الحديث رواية وعلم الحديث دراية.

فأما ما كان رواية فالطريق فيه هو السند، واحوال السند والمتن من صحة وحسن وضعت وعلو ونزول ورفع ووقف وقطع، وكيفية التحمل والأداء وصفات الرجال وغير ذلك، وهذا مما يدخل في علم «مصطلح الحديث» وعلم «أصول الحديث».

وأما «الدراية» في الحديث فتعني معرفته والوصول الى ضبطه بالكتابة والتدوين.

ومن هنا نشأ لدى المحدثين ما سُمِّي «الجرح والتعديل». ان «الجرح» يقابل النقد الصارم للراوي وللمتن، والوصول بهما الى الصدق والثقة، والمراد بـ «التعديل» الحكم على عدالة الراوي وحسن خلقه واعتقاده واستقامته.

ومن هنا كان للحديث درجات، فباعتبار عدد رواته ينقسم الى قسمين هما:

١ — متواتر.

٢ — آحاد.

وباعتبار القبول والرد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ — صحيح .

٢ — حسن .

٣ — ضعيف .

والحديث المتواتر هو قطعي الثبوت ذلك انه روي مسلسلا بالتواتر ، وليس في سلسلة رواته رجل مجروح ، وكلهم ثقات .

ولا أريد ان افيض في الكلام على الحديث وطرائق ضبطه ، ولكني اقول ان المسلمين انتهوا فيه الى الضبط الوافي فكان منه «مسانيد» مضبوط ومجاميع «صحاح» ، وهي معروفة مشهورة للمشتغلين بهذا العلم .

أقول : وهذه العناية بالحديث التي انتهت الى قواعد واصول في تحريه وضبطه ونقده ، وكان من ذلك كما اشرت «الجرح والتعديل» قد أثرت في ميلاد علوم اخرى عند العرب وهو «علم التاريخ» ألا ترى ان المشاهير من المؤرخين قد كانوا محدّثين قبل كونهم مؤرخين ، وانهم افادوا مما كان لهم من هذه الثقافة العلمية في كتابة الخبر التأريخي . ان الامام الطبري والبخاري وغيرهما كثير من جملة المؤرخين الثقات الذين انتقلوا بزادهم في الحديث الى علم التاريخ .

ومن هنا فلنا ان نقرر ان علم التاريخ لدى المسلمين ، وان «الكتابة العلمية التاريخية» من ثمار علوم الحديث ، وان اتقان طائفة من المؤرخين لعلوم الحديث وانشغالهم فيها قد كانا سببا في براعتهم في علوم التاريخ والكتابة التاريخية . وليس لنا ان نذهب في الوهم تقليدا ، كما يفعل المؤرخون الذين تأثروا بكتابات المستشرقين ، فنزعم ان ما يدعى (Historicite) لدى المسلمين كان هؤلاء قد أفادوه فيما أفادوا من التراث الاغريقي .

وكان من أثر هذا الانجاز العلمي ان اصبح الكثير من الثقافة العربية خاضعا للضبط العلمي في الرواية الصحيحة . لقد ذهب علماء اللغة في تحريهم للصواب الى شيء من القواعد الصارمة التي اتبعت في نقل الحديث وكان شيء من هذا قد

اتبع في اخذ سائر الاخبار الادبية والتاريخية .

وقد لايكون عجبا ان نقرأ في «المثل السائر» لابن الاثير مثلا انه قال فيما قال في طريقته في «الكتابة الفنية» شيئا سبق فيه ما هو معروف لدى الباحثين في عصرنا واستخدامهم الجزازات وتصنيفها وجمعها ثم نقدها ثم الافادة منها في بسط المادة لتي يتصدون لها .

ومن عجب ان نرى جمهرة من المصنفين في عصرنا قد تباروا في كتابة رسائل موسومة بقولهم : «كيف تكتب بحثا او رسالة» . ان هؤلاء قد اوحوا الى قرائهم ان كتابةالبحث العلمي او تحرير الرسالة شيء أفدناه من الغرب(١) .

ونظير هذا ما يحرره الباحثون العرب في «علم التوثيق والفهرسة» وذهابهم الى ما اسموه النقد الداخلي والنقد الخارجي . ولم يهتد هؤلاء ، لعزوفهم عن التراث ، الى ان علماء المسلمين ادركوا هذا على نحو جيد منذ عدة قرون . ان «الجرح والتعديل» الذي خرج به علماء الحديث هو أساس هذا الذي يلغط به المعاصرون على انه منهج حديث في «التوثيق» .

وأعود الى تجربة الكتابة العلمية بالعربية في العصور التاريخية . لقد اقبل المسلمون بعد انشغالهم بعلوم القرآن والحديث وسائر علوم العربية ، على «العلوم الدخيلة» وهي تلك العلوم التي وجدوها لدى العرب النصارى وغيرهم من الآراميين والسريان في البلاد المفتوحة ، وهي علوم الاغريق

---

١ — إن السعي وراء الغربيين يدخل في باب «التغريب» الذي ساد على ثقافتنا المعاصرة ، ذلك أن الكثير من المؤلفين قد هرعوا لكل صيحة تصل الينا من الغرب ، أقول : انها صيحة أو صرخة تصك أسماعنا فنهرع لها ونحسبها علما استقر له أصوله وقواعده» . وقد تأتينا هذه المستحدثات بعد أن تكون قد زالت وأفل نجمها في الغرب . وما كان لهذا المولد الجديد ان يدخل أروقة الدرس الجاد في الجامعات في الغرب . لقد ظل الغربيون محتفظين بثوابت لايمكن ان تزيلها هذه النظرات الجديدة على ما فيها من فكر جيد ، ولكنه موضع نظر ، وانه اجتهاد .

ومن ترحيبنا بالجديد الوافد من الغرب رحنا نتلمس شيئا يناظره في تراثنا ، حتى اذا خُيِّل إلينا ، ونحن واهمون ، ان «النظم» لدى الجرجاني شيء يناظر النحو التوليدي لدى الخواجا تشومسكي رحنا نكبر الجرجاني ، وكأنه خلق الساعة ، وذلك لأن ما ذكره في «النظم» الذي يخدم النحو العربي قد وافق قول «تشكومسكي» وان في هذا شيء من «بنيوية» متوهمة !!ومثل هذا ما كان منا من اكبار جديد لابن خلدون ، ورحنا نكتب في «مقدمته» وفلسفته في «علم التاريخ» وما كان ذلك منا إلا بعد ان نبهنا اليه الغربيون فقال الاستاذ «دوركهايم» عالم الاجتماع الفرنسي : ان ابن خلدون سبق الغربيين في تفسير التاريخ ، وفي بحثه في «العمران البشري» .

والرومان والفرس والهنود. لقد أقبل المسلمون على هذه العلوم مدفوعين بما جاء في الاثر.

«الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها ممن سمعها، ولا يبالي في أي وقت خرجت».

وقوله أيضا ﷺ :ـ

«خذوا الحكمة ولو من ألسنة المشركين»(١)

و «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

و «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».

و «اطلبوا العلم ولو بالصين»(٢).

● ومن المفيد ان نشير الى ان أول من اهتم بهذه العلوم، هو النضر بن الحارث بن كلدة الثقفي، وهو ابن خالة النبي ﷺ وكان قد رحل إلى بلاد فارس وغيرها كأبيه الحارث الطبيب الشهير في عصر النبي ﷺ.

واجتمع بالعلماء، وعاشر الاحبار والرهبان، وحصل من العلوم القديمة أشياء جليلة، واطلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمة، وتعلم من أبيه صناعة الطب، وكان يجاري أبا سفيان في عداوة النبي ﷺ لانه ثقفي، وكان بنو ثقيف حلفاء بني أمية. فكان النضر كثير الاذى للنبي ﷺ. (٣)

على ان هذ الذي اخذه النضر من العلوم القديمة لم ينقل الى العربية كما تشير المصادر. غير ان خالد بن يزيد المتوفي سنة ٨٥ هـ، حفيد معاوية الاكبر، كان اول من اشتغل في نقل العلوم، وكان يُسمَّى حكيم آل مروان. وقد انصرف خالد الى العلوم بعد ان يئس من الفوز بالخلافة.

وكانت صناعة الكيمياء رائجة في مدرسة الاسكندرية، فاستقدم جماعة من

---

١ — العقد الفريد ١/ ١٦٠.

٢ — كشف الظنون ١/ ٣٩، ٤٣.

٣ — طبقات الأطباء ١/ ١٢٣

العلماء ومنهم راهب رومي اسمه مريانوس، وطلب اليه ان يعلمه صناعة الكيمياء، فلما تعلمها أمر بنقلها الى العربية، فنقلها رجل اسمه اصطفان القديم(١) وهذا اول نقل في الإسلام من لغة الى اخرى.

ثم خلف من بعده في نقل الكيمياء «ماسرجويه» أو ما سرجيس لكنّاش اهرون من السرياني الى العربي، وهو ثلاثون مقالة زاد عليها ماسرجويه مقالتين(٢).

ثم زاد النقل في الخلافة العباسية، وقد اهتم المنصور بهذه الحركة فنقلت علوم الطب والنجوم وغيرها، ثم فشت حركة الترجمة في علوم عدة، وفي الفلسفة والمنطق والاعتقادات القديمة في عصر كل من الخلفاء، المهدي والرشيد والمأمون.

قال ابن النديم: «ان المأمون رأى في منامه ارسطو طاليس الحكيم وسأله بعض الاسئلة، فلما نهض من منامه طلب ترجمة كتابه، فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن في إنفاذ ما يختار من كتب العلوم القديمة المدخرة ببلد الروم، فأجابه الى ذلك بعد امتناع. فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما حملوه اليه أمرهم بنقله فنقل»(٣).

واشتهر من النقلة:

١ — آل بختيشوع، من السريان النساطرة، وأولهم جورجيس بن بختيشوع، طبيب المنصور، وخلفه ابنه بختيشوع بن جورجيس وقد استقدمه الرشيد من جنديسابور كما استقدم المنصور أباه.

٢ — آل حنين: وأولهم حنين بن اسحاق العبادي «شيخ المترجمين» من

---

١ — الفهرست لابن النديم ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤.

٢ — طبقات الاطباء ١/ ١٠٩ «عن تاريخ التمدن الاسلامي ٣/ ١٥٤» ط. دار الهلال.

٣ — الفهرست ص ٢٤٣.

نصارى الحيرة، وكان من المشتغلين بالطب في القرن الثالث الهجري في بغداد، وكان فيها يوحنا بن ما سويه ممن درس في جنديسابور، وكان بينهما لقاءات واجتماعات.

وكان لحنين ولدان هما داوود واسحاق، وقد صنف لهما كتبا طبية في المبادىء والتعليم، ونقل لهما كتبا كثيرة من مؤلفات جالينوس، فأفلح اسحاق وتميز، واشتغل في الترجمة مثل أبيه من اليونانية الى العربية.

٣ — وحبيش الاعسم الدمشقي، ابن اخت حنين بن اسحاق، وقد سلك مسلكه في الترجمة.

٤ — وقسطا بن لوقا البعلبكي، من نصارى الشام، فيلسوف وطبيب، رحل الى بلاد الروم، وكان عالما باللغات اليونانية والسريانية والعربية. وقد نقل عدة كتب من اليونانية الى العربية.

٥ — آل ماسرجويه، أولهم ماسرجويه متطبب البصرة، وهو يهودي المذهب، سرياني اللغة، وقد نقل الكتب من السرياني الى العربي، ثم ابنه عيسى بن ماسرجويه.

٦ — آل الكرخي، وأولهم شهدي من اهل الكرخ، وقد نقل هو وابنه الكتب من السرياني الى العربي.

٧ — آل ثابت، وأولهم ثابت بن قره الحراني، من صابئة حران، وكان صيرفيا، ثم تعلم الطب والفلسفة والنجوم، وكان يتقن السريانية فنقل منها الى العربية كتبا عدة.

وله تصانيف في الرياضيات والطب والمنطق، وكان ممن حظي لدى الخليفة المعتضد العباسي.

وكان كذلك ابنه سنان بن ثابت، ويليه ابنه ثابت بن سنان، ولكنهما لم ينقلا شيئا.

ومن النقلة أيضا الحجاج بن مطر الذي نقل كتاب المجسطي واقليدس الى العربية. وابن ناعمة الحمصي، واصطفان بن باسيل، وموسى بن خالد ويعرف بالترجمان، وسرجيس الراس عيني، ويوحنا بن يختيشوع، والبطريق، ويحيى بن البطريق، وكان في خدمة الحسن بوسهل، وابوعثمان الدمشقي، وابوبشر متى بن يونس، ويحيى بن عدي.

ومن النقلة من الفارسية الى العربية ابن المقفع وآل نوبخت وغيرهم(١).

ولنا ان نورد هنا الكتب المنقولة عن اليونانية.

واكثرها في الفلسفة والطب والرياضيات والنجوم وفروع العلم الطبيعي.

كتب الفلسفة والادب:

كتب أفلاطون

١ — كتاب السياسة	نقله حنين بن اسحاق
٢ — كتاب المناسبات	نقله يحيى بن عدي
٣ — كتاب النواميس	نقله حنين ويحيى
٤ — كتاب طيماوس	نقله ابن البطريق واسحاق بن حنين
٥ — أفلاطن الى أقرطن	نقله يحيى بن عدي

قال جرجي زيدان في «تاريخ التمدن» ٣ / ١٧٠ :

لم أجد لأبي زكريا يحيى بن عدي المعروف بالمنطيقي التكريتي المتوفي ٣٦٣/ ٩٨٢/ أو ٣٦٤ كتابا بهذا الاسم. انظر قائمة كتبه ومترجماته عند بروكلمان : تاريخ الآداب العربية ملحق ١/ ٣٧٠. وانظر عنه : ابن القنطي ٣٦١، والبيهقي : التتمة ص ٩٠، وابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٩٧ وانظر :

Meyerhof, Von Alexandria nach Baghdad P.36 tn, 8

---

١ — مأخوذ من «تاريخ التمدن الإسلامي» ٣/ ١٦٠ ـ ١٧٠.

G. Gard Die Christlische Arabische Litratur, 46 - 51.

وانظر الفهرست لابن النديم «القاهرة ١٣٤٨» ص ٣٦٩.

٦ — كتاب التوحيد

٧ — كتاب الحس واللذة

٨ — كتاب أصول الهندسة نقله قسطا بن لوقا

كتب أرسطوطاليس

١ — قاطيغورياس، أي المقولات	نقله حنين بن اسحاق.
٢ — كتاب العبارة.	نقله حنين الى السريانية واسحاق الى العربية.
٣ — تحليل القياس	نقله تيادورس وأصلحه حنين.
٤ — كتاب البرهان	نقله اسحاق إلى السرياني، ومتّى الى العربي.
٥ — كتاب الجدل	نقله اسحاق الى السرياني، ويحيى الى العربي.
٦ — كتاب المغالطات او الحكمة المموهة	نقله ابن ناعمة وأبو بشر الى السرياني، ويحيى الى العربي.
٧ — كتاب الخطابة	نقله اسحاق وابراهيم بن عبدالله.
٨ — كتاب الشعر	نقله أبوبشر من السرياني الى العربي.
٩ — كتاب السماع الطبيعي	نقله أبوروح الصابي وحنين ويحيى وقسطا وابن ناعمة.
١٠ — كتاب السماء والعالم	نقله ابن البطريق وأصلحه حنين.
١١ — كتاب الكون والفساد	نقله حنين الى السرياني واسحاق الدمشقي الى العربي.
١٢ — كتاب الآثار العلوية	نقله أبوبشر ويحيى.
١٣ — كتاب النفس	نقله حنين الى السرياني واسحاق الى العربي.
١٤ — كتاب الحس والمحسوس	نقله أبوبشر متّى بن يونس.
١٥ — كتاب الحيوان	نقله ابن البطريق.
١٦ — كتاب الحروف والالهيات	نقله اسحاق ويحيى وحنين ومتّى.
١٧ — كتاب الاخلاق	نقله اسحاق.
١٨ — كتاب المرآة	نقله الحجاج بن مطر
١٩ — كتاب أثولوجيا	نقله الحجاج بن مطر

وقد وصلت الينا كتب هي شروح لكتب أرسطو قام بها تلامذته.. وكلها في الفلسفة وفروعها. وقد نقل كثير منها الى العربية، ولم يعلم ناقلوها.

وقد ذكر لجالينوس كتب في الطب واخرى في الفلسفة والادب، وهي «كتاب

ما يعتقده رأيا» ترجمة ثابت .
و«كتاب تعريف المرء عيوب نفسه» وقد نقله توما وأصلحه حنين .
وكتاب «الاخلاق» وقد نقله حبيش .
و كتاب «انتفاع الاخيار بأعدائهم» نقله حبيش .
وكتاب «المحرك الاول الذي لا يتحرك» نقله حبيش وعيسى .

كتب الطب

كتب أبقراط

١ — كتاب عهد أبقراط	نقله حنين الى السريانية وحبيش وعيسى الى العربية .
٢ — كتاب الفصول	نقله حنين لمحمد بن موسى .
٣ — كتاب الكسر	نقله حنين لمحمد بن موسى .
٤ — كتاب تقدمة المعرفة	نقله حنين وعيسى بن يحيى .
٥ — كتاب الأمراض الحادة	نقله عيسى بن يحيى .
٦ — كتاب أبيذيميا	نقله عيسى بن يحيى .
٧ — كتاب الأخلاط	نقله عيسى بن يحيى لأحمد بن موسى .
٨ — كتاب قاطيطيون	نقله حنين لمحمد بن موسى .
٩ — كتاب الماء والهواء	نقله حنبين وحبيش .
١٠ — كتاب طبيعة الانسان	نقله حنين وعيسى .

كتب جالينوس

جاء في «تاريخ التمدن الإسلامي» ٣/ ١٧٣

وأشهر كتب جالينوس الستة عشر ، وهي : كتاب الفرق ، الصناعة ، كتاب النبض ، شفاء الامراض ، المقالات الخمس ، الاسطقصات ، كتاب المزاج ، القوى الطبيعية ، العلل والامراض ، تعرف العلل الباطنة ، كتاب النبض الكبير ، كتاب الحميات ، كتاب البحران ، أيام البحران ، تدبير الاصحاء ، حيلة البرء .

وقد نقلها كلها حنين بن اسحاق الى العربية إلا كتاب العلل الباطنة ، وكتاب النبض الكبير ، وكتاب تدبير الاصحاء ، وكتاب حيلة البرء ، فقد نقلها حبيش .

كتب جالينوس الاخرى

١ — التشريح الكبير	نقله حبيش الأعسم
٢ — اختلاف التشريح	نقله حبيش الأعسم
٣ — تشريح الحيوان الحي	نقله حبيش الأعسم
٤ — تشريح الحيوان الميت	نقله حبيش الأعسم
٥ — علم أبقراط بالتشريح	نقله حبيش الأعسم
٦ — الحاجة الى النبض	نقله حبيش الأعسم
٧ — علوم أرسطو	نقله حبيش الأعسم
٨ — تشريح الرحم	نقله حبيش الأعسم
٩ — آراء أبقراط وأفلاطون	نقله حبيش الأعسم
١٠ — العادات	نقله حبيش الأعسم
١١ — خصب البدن	نقله حبيش الأعسم
١٢ — المني	نقله حبيش الأعسم
١٣ — منافع الاعضاء	نقله حبيش الأعسم
١٤ — تركيب الادوية	نقله حبيش الأعسم
١٥ — الرياضة بالكرة الصغيرة	نقله حبيش الأعسم
١٦ — الرياضة بالكرة الكبيرة	نقله حبيش الأعسم
١٧ — الحث على تعلم الطب	نقله حبيش الأعسم
١٨ — قوى النفس ومزاج البدن	نقله حبيش الأعسم
١٩ — حركات الصدر	نقله أصطفان وأصلحه حنين
٢٠ — علل النفس	نقله أصطفان وأصلحه حنين
٢١ — حركة العضل	نقله أصطفان وأصلحه حنين
٢٢ — الحاجة الى النفس	نقله أصطفان وأصلحه حنين
٢٣ — الامتلاء	نقله أصطفان وأصلحه حنين
٢٤ — المرّة والسوداء	نقله أصطفان وأصلحه حنين
٢٥ — الحركات المجهولة	نقله حنين
٢٦ — علل الصوت	نقله حنين
٢٧ — أفضل الهيئات	نقله حنين
٢٨ — سوء المزاج المختلف	نقله حنين

٢٩ — الادوية المفردة	نقــله حنيــن
٣٠ — المولود لسبعة أشهر	نقــله حنيــن
٣١ — رداءة النفس	نقــله حنيــن
٣٢ — الذبول	نقــله حنيــن
٣٣ — قوى الاغذية	نقــله حنيــن
٣٤ — التدبير الملطف	نقــله حنيــن
٣٥ — مداواة الامراض	نقــله حنيــن
٣٦ — أبقراط والامراض الحادة	نقــله حنيــن
٣٧ — الى تراسو بولوس	نقــله حنيــن
٣٨ — الطبيب والفيلسوف	نقــله حنيــن
٣٩ — كتب أبقراط الصحية	نقــله حنيــن
٤٠ — محنة الطبيب	نقــله حنيــن
٤١ — أفلاطون في طيماوس	نقــله حنيــن واسحاق
٤٢ — تقدمة المعرفة	نقــله عيسى
٤٣ — الفصــد	نقــله عيسى واصطفان
٤٤ — صفات لصبي يصرخ	نقــله ابن الصلت
٤٥ — الأورام	نقــله ابن الصلت
٤٦ — الكيموس	نقــله ثابت وحبيش
٤٧ — الأدوية والأدواء	نقــله عيسى
٤٨ — الترياق	نقله ابن البطـريق

وجاء في «الفهـرست» من كتب الطب بضعة وعشرون كتابـا لمؤلفين اغريق، ولم يذكر ناقليها.

وقد ذكر ابن النديم بعض الناقلين منهـم اصطفان بن باسيل الذي نقل كتاب الادويــة لأورياسيوس، وكتاب السبعين مقالة نقله حنين وعيسى بن يحيى الى السريانية وكتاب الى ابنه اسطات نقله حنين، وكتاب لأبيه أرنافيس نقله حنين.

ولدسقوريد العين زربي ـ ويقال له السائح في البلاد لسياحته في طلب العقاقير والحشائش ـ كتاب في الحشائش.

ولأسكندروس كتاب «البرسام» نقله الى العربية ابن البطريق.

كتب الرياضيات والنجوم وسائر العلوم:

وهذه تشتمل على علم النجوم والهندسة والحساب والموسيقى والميكانيكيات وهي:

١ — كتب إقليدس: منها «أصول الهندسة» نقله الحجاج بن مطر نقلين:

قال ابن النديم في «الفهرست» (ص ٣٧١) في الكلام على «أصول الهندسة» واسمه «الاسطروشيا» ومعناه اصول الهندسة، نقله الحجاج بن يوسف بن مطر نقلين «أي ترجمه مرتين» احدهما يعرف بالهاروني، وهو الأول، ونقلا ثانيا يعرف بالمأموني وعليه يعوّل.

أقول وكأن الهاروني قد ترجم بطلب من هارون الرشيد، والمأموني بطلب من المأمون وقد جرت عادة المصنفين تسمية تصانيفهم باسم من يُهدى اليهم من الخلفاء والرؤساء:

ونقل الكتاب نفسه اسحاق بن حنين وأصلحه ثابت بن قرَّة.

ونقل أبوعثمان الدمشقي من هذا الكتاب مقالات، قال ابن النديم: «رأيت منه العاشرة بالموصل في خزانة علي بن احمد العمراني..

وقال: ومن كتب اقليدس: كتاب الظاهرات، وكتاب اختلاف المناظر، وكتاب المعطيات، وكتاب النغم، ويعرف بالموسيقى «وهو» منحول، وكتاب القسمة إصلاح ثابت بن قرّة، وكتاب الفوائد «وهو» منحول، وكتاب القانون، وكتاب الثقل والخفة، وكتاب التركيب، «وهو» منحول، وكتاب التحليل «وهو» منحول «الفهرست» (ص ٣٧٢).

٢ — كتب ارخميدس، وهي عشرة لم يعرف ناقلوها «الفهرست ص ٣٧٢».

٣ — كتب ابلونيوس وهي كتاب المخروطات، وكتاب قطع السطوح، وكتاب قطع الخطوط، والنسبة المحدودة، والدوائر المماسة، ولم يعرف ناقلوها «الفهرست ص ٣٧٣».

٤ — منالاوس : له كتاب الأشكال الكروية، وكتاب أصول الهندسه نقله الى العربية ثابت بن قرّة. (الفهرست ص ٣٧٤)

٥ — بطليموس القلوذي : صاحب كتاب المجسطي الشهير، نقله يحيى البرمكي وبطليموس أيضا كتاب الاربعة، نقله ابراهيم بن الصلت. وأصلحه حنين، وكتاب جغرافيا المعمور، وصفة الارض، نقله ثابت إلى العربية، ولبطليموس ١٥ كتابا في الجغرافية وغيرها لم يعرف ناقلوها (الفهرست ص ٣٧٤ـ ٣٧٥).

٦ — أبرخس : له كتاب صناعة الجبر، ويعرف بـ «الحدود» وكتاب قسمة الاعداد، لم يعرف ناقلها (الفهرست ص ٣٧٥).

٧ — ذيوفنطس : له كتاب صناعة الجبر، لم يعرف ناقله.

وفي «الفهرست لابن النديم كتب اخرى في الرياضيات والهيئة والازياج ونحوها، ولم يذكر ناقليها منها».

كتاب العمل بالاسطرلاب المسطح لأبيون البطريق، وكتاب جرم الشمس والقمر لأرسطرخس، وكتاب العمل بذات الحلق، وكتاب جداول زيج بطليموس المعروف بالقانون المسير، وكتاب العمل بالاسطرلاب وكلها لثاون الاسكندري.

أقول : وفي «الفهرست» لابن النديم كتب اخرى في الرياضيات والفلسفة والموسيقى والآلات المصوتة كالأرغن وغيرها لمؤلفين من الاغريق، ولم يعرف ناقلوها.

الكتب المنقولة عن الفارسية

قال جرجي زيدان في «تاريخ التمدن» ٣/ ١٧٦.

اكثر الكتب المنقولة عن الفارسية في النهضة العباسية من قبيل الآداب والاخبار والسير والاشعار، وبعضها في النجوم مما نقله آل نوبخت وعن زياد التميمي وغيرهم. أما ما بقى من كتبهم المنقولة الى العربية فهو أسماء ناقليها:

١ — كتاب رستم واسفنديار	نقله جبلة بن سالم
٢ — كتاب بهرام شوس	نقله جبلة بن سالم
٣ — كتاب خداي نامه في السير	نقله عبدالله بن المقفع
٤ — كتاب آيين نامة	نقله عبدالله بن المقفع
٥ — كتاب كليلة ودمنة	نقله عبدالله بن المقفع
٦ — كتاب مزدك	نقله عبدالله بن المقفع
٧ — كتاب التاج في سيرة أنوشروان	نقله عبدالله بن المقفع
٨ — كتاب الآداب الكبير	نقله عبدالله بن المقفع
٩ — كتاب الآداب الصغير	نقله عبدالله بن المقفع
١٠ — كتاب اليتيمة	نقله عبدالله بن المقفع
١١ — كتاب هزار أقسانة	لم يذكر ناقله

أقول: قالوا: «ان هذا الكتاب أصل لكتاب ألف ليلة وليلة».

١٢ — كتاب شهريزاد مع أبرويز	لم يذكر ناقله
١٣ — كتاب الكارنامج أنوشروان	لم يذكر ناقله
١٤ — كتاب دارا والصنم الذهب	لم يذكر ناقله
١٥ — كتاب بهرام ونرسي	لم يذكر ناقله
١٦ — كتاب هزار دستان	لم يذكر ناقله
١٧ — كتاب الدبّ والثعلب	لم يذكر ناقله

١٨ — كتاب سير ملوك الفرس «وهي عدة كتب» ترجم أحدها محمد بن جهم البرمكي والآخر ترجمه زادويه بن شاهويه الاصفهاني، والآخر محمد بن بهرام بن مطيار الاصفهاني.

ومما ترجم أيضا من تصانيفهم كتاب «شاهنامة» التي نظمها الشاعر الفردوسي للسلطان محمود الغزنوي سنة ٣٨٤ هـ في نحو ٦٠,٠٠٠ بيت على نسق «إلياذة» هوميروس. وقد تضمنت تاريخ الفرس القديم، وقد نقلها الى العربية الفتح بن علي البنداري الاصبهاني نثرا للملك المعظم عيسى الايوبي. وقد

أتم ترجمتها سنة ٦٩٧ هـ . وقد ترجم العرب كتبا أخرى من الفارسية تاريخية وأدبية، ولاسيما ما يتعلق بالمذاهب القديمة ونحوها .

الكتب المنقولة من الهندية

وقد نقل العرب الكثير من كتب الطب والنجوم والرياضيات عن اللغة الهندية السنسكريتية . ومن هذه الكتب :

١ — كتاب سمرد	نقله الى العربية منكه(١)
٢ — كتاب أسماء عقاقير الهند	نقله الى العربية منكه لاسحاق بن سليمان
٣ — كتاب استانكر الجامع	نقله ابن دهن
٤ — كتاب صفوة النجح	نقله ابن دهن
٥ — كتاب مختصر الهند في العقاقير	لم يذكر ناقله
٦ — كتاب علاجات الحبالى للهند	لم يذكر ناقله
٧ — كتاب روسا الهندية في علاجات النساء	لم يذكر ناقله
٨ — كتاب السكر للهند	لم يذكر ناقله
٩ — كتاب التوهم في الأمراض والعلل	لم يذكر ناقله
١٠ — كتاب رأي الهند في أجناس الحيات وسمومها	لم يذكر ناقله

كتب النجوم والرياضيات :

قال جرجي زيدان في «تاريخ التمدن الإسلامي» ٣/ ١٧٩ :

أما في الرياضيات والكواكب فللهند شأن كبير، ومن كتبهم «السند هند» وكان لنقل هذا الزيج تأثير في علم النجوم عند العرب، وقد قلدوه وألفوا على مذهبه، وممن ألف على هذا المذهب محمد بن ابراهيم الفزاري، وحبش بن عبدالله البغدادي، ومحمد بن موسى الخوارزمي وغيرهم (٢) والفزاري أول من عمل اسطرلابا في الإسلام(٣) وما من فلكي من فلكيي المسلمين اراد التوسع في علوم النجوم إلا طالع كتبهم، إما في اللغة الهندية أو في ترجمتها الى العربية .

واكثر المسلمين عناية في ذلك واطلاعا على آداب الهند وعلومهم أبو الريحان

---

١ — «منكه» الهندي من مشاهير المترجمين، أتى الى بغداد لمعالجة الرشيد . انظر طبقات الاطباء ٢/ ٣٣

٢ — تراجم الحكماء (خط) عن تاريخ التمدن الإسلامي ٣/ ١٧٨ .

٣ — الفهرست ص ٢٧٣ .

البيروني المتوفي سنة ٤٤٠ هـ فإنه طاف بلاد الهند، واطلع على علومهم وآدابهم، ثم ألف كتابه «الآثار الباقية عن القرون الخالية» وغيره من الكتب، ومما ذكره من كتبه التي ألفها في هذا الصدد قوله :

«وعملت في السند هند كتابا سميته «جوامع الموجود لخواطر الهنود في حساب التنجيم، جاء ما تم منه ٥٥٠ ورقة.

كتب الأدب :

ومن أشهر ما نقل عن الهندية الى العربية كتاب «كليلة ودمنة» وقد نقله الى العربية نظماً ابان بن عبدالحميد اللاحقي.

ولابد أن نضيف «كتاب سندباد الكبير» و «كتاب سندباد الصغير» و «كتاب الدر» وغير هذا.

وأستطيع ان اختم هذه السعة من الكتب التي ترجمت الى العربية بقولي ان العربية قد أفادت من كثير من اللغات، فقد نقل اليها من كتب النبط مما هو بالنبطية، كما نقل اليها من العبرانية والقبطية وغيرها.

ويحسن بنا ان نأتي الى هذا العصر فنواجه بدايات المشكلة لنرى كيف كان القوم قد تصرفوا بأمر العربية وهي تواجه العصر الحديث بمتطلباته العلمية الكثيرة ومستحدثاته.

أقول : لقد استطاع أجدادنا في أوائل هذا العصر ان يتخذوا من العربية وسيلة ناجحة للاعراب عن متطلبات العلم، وكان لهم منها وسيلة وافية بالغرض.

وكأنهم اطمأنوا الى قدرتها حين وجدوا من تراثها المنقول من اللغات الأعجمية قدرا وافيا يشتمل على مختلف العلوم الانسانية، والعلوم الاخرى التطبيقية.

وقد رأينا تجربة العربية وهي تواجه فلسفة الاغريق ومنطقهم، كما رأيناها تواجه المواد المعرفية الاخرى كالطب والحيوان والنبات وسائر فروع المعرفة

القديمة .

لقد باشر المشرفون على تدريس الطب في مستشفى القصر العيني في القاهرة على وضع مادتهم في كتب عربية واستعانوا بجماعات أعاجم كان لهم القدرة على الكتابة بالعربية ، وسار الامر على خير وجه ، وقد استطاعوا تلبية حاجات العلم ، وبقى الامر على هذه الصورة حتى انشئت الجامعة المصرية فاستبدلوا بالكتب العربية كتبا اخرى كتبت بالانكليزية ، وبقينا الى يومنا هذا نكابر في صلاحية هذه اللغة وعدم صلاحية العربية .

إن العقل و المنطق ، والتجربة العملية أثبت كله ان الطالب يستوعب مادة العلم بالعربية على نحو افضل ، وما يحصل عليه يكون أوفى مما لو درس في كتاب بلغة اعجمية . وقد قامت التجارب على هذا فأثبت اهل التربية القيم العلمية وقالوا ان الطالب الذي يقرأ كتابه باللغة الاجنبية يعاني من فهم اللغة واستيعابها فيكون ذلك على حساب ما يحصل عليه من مادة علمية .

ثم كانت لنا تجربة التعليم بالعربية في الدراسات الجامعية في القطر العربي السوري ، وما زالت هذه التجربة تؤتي ثمارها ، لقد وضع الاساتذة المتخصصون كتبهم بالعربية وتم لهم ذلك بيسر ونجاح .

ثم جئنا الى اصحابنا اساتذة العلوم في البلاد العربية الاخرى فوجدناهم عاجزين عن التدريس بالعربية فقد هرع الى الكتب المكتوبة بالانكليزية ، وهم اهل المشرق العربي ، وهرع نفر آخر الى الفرنسية ، وهم اهل المغرب العربي ، وصار يجادل كل طرف ان العلم الجديد لايمكن ان يؤدى بالعربية وان ليس من وسيلة لغوية الا اللغة الاعجمية ، وحجتهم في ذلك ان «المصطلح العلمي» وافر في اللغة الاعجمية ، وانه يتزايد يوما بعد يوم .

وهرع نفر ثالث الى الرد على ما يقول هؤلاء «المستغربون» الذين تنكروا للغتهم بل لهويتهم العربية عجزا منهم ، ذلك انهم ذهبوا الى الغرب يدرسون بمادة عربية هزيلة لاتمكنهم من تدريس العلم ، فلم يجدوا لهم الا ان يفزعوا الى

اللغة الاعجمية .

لقد عرفنا هؤلاء وكيف يحاضرون في «انكليزيتهم» أو «فرنسيتهم» فوجدناهم يتبعون في هاتين اللغتين طريقة مشوهة هي الخلط بين اللغة الاعجمية وبين عاميتهم العربية التي يدرجون فيها .

فهل لهم بهذه الوسيلة المتأخرة ان يشمخوا بأنوفهم ويدّعوا ما يدّعون ويقولوا بعجز العربية؟ .

أقول : ذهب هذا النفر الثالث للرد على هذا الافتئات وراحوا يسردون فضائل العربية وقدرتها على الوفاء بالمصطلح العلمي ، وان فيها من الوسائل اللغوية اشتقاقا ومجازا ما يعين على هذا الغرض ، قبل ان يهُرع الباحث الى مسألة النحت التي شاعت في اللغات الأعجمية ، وكأنهم نظروا إلى تجارب القوم قديما وحديثا فتأسّوا بها وأفادوا منها .

ثم أليس لنا ان نقول ببطلان دعوى المتحمسين الى اللغة الاجنبية في تدريس العلوم إذ عرفنا ان مدرس العلوم لايحتاج الى العنصر اللغوي الذي من شأنه أن يعيق عمله .

إن مدرس الفيزياء او الكيمياء او الرياضيات بأصنافها أو علوم الحياة «الحيوان والنبات» يواجه حاجة واحدة وهي توفير «المصطلح العلمي» ، وأن ما عدا هذا فهو لغة يسيرة ، فلا يستطيع ان يتعصب لدعواه .

إن كتاب الفيزياء وكتاب الكيمياء ، وكتب الرياضيات وغيرها تشتمل على الارقام والحروف ، وجملة من المصطلحات العلمية ، والكثير من هذا قد ترجم الى العربية على تراخي العصور ، فأين المشكلة فيما بقي من المادة اللغوية في هذه الكتب وهي مادة قليلة؟ .

إني أعجب كل العجب من تصرف أصحابنا الاساتيذ العرب هذا وتعصبهم على حساب هويتهم ولغتهم ، كما اني لأعجب ان يهرع اليهود في إسرائيل ، وهم

لايملكون إلا لغة كانت قبل ثلاثة عقود من السنين في عداد اللغات الميتة، وان مادتها اللغوية فقيرة لاتستطيع ان تفي بحاجة العلوم الجديدة، أقول هرع هؤلاء إلى لغتهم يعمرونها ويضيفون اليها لتكون اللغة الوحيدة في الدرس في مختلف مراحل التعليم.

ثم ألم يجد أصحابنا ان «كوريا» وغيرها من الدول التي اصطلح عليها «النامية» تتخذ من لغاتها مادة للعلم.

ومن العجب ان يذهب أساتذة العلوم هذا المذهب وهم يرون أننا عربنا العلوم الانسانية فصنفت المصادر العلمية بالعربية في مادة الفلسفة القديمة والحديثة، ومادة علم النفس، ومادة الاجتماع، ومادة ما ندعوه «الانتروبولوجي»، ومادة علم اللغة واللسانيات وغيرها.

إن هذه العلوم أحوج إلى العنصر اللغوي الدقيق من كتاب في الفيزياء والكيمياء والرياضيات مادته أرقام وحروف ومصطلحات يسيرة.